إقامة الصِّفة المشتقة مُقام الموصوف

في تفسير البحر المحيط

دراسة في البنية والتركيب والدلالة

**Replacing Derivative adjectives in the
Explanation of "Al-Bahr Al-moheet"**

"A Study in Structure, Style and Semantics"

إعداد

حسناء علي فريد محمد

الملخص:

إنَّ فَهْمَ القرآن الكريم وفَهْمَ تفسيره يَحْتَاجُ إلى الاستعانة باللُّغة بِجَمِيعِ مستوياتها، كالبنية الصرفية، والتركيب، والدَّلالة، وَمِنْ هنا يَجِبُ الوقوف أمامَ دراسة التغيرات التركيبية في الصِّفَة والمَوْصُوف، فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ خلال تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت745هـ)، أَنَّ المَوْصُوف يُحذف وتُقَام الصِّفَة مُقَامه، والأصل أَنَّ تأتي الصِّفَة لأجل المَوْصُوف باعتبار أنَّ الإسناد هو مناط الفائدة، وقد جاء البحث بعنوان إقامة الصِّفَة المُشتقة مُقام الموصوف في تفسير البحر المحيط "دراسة في البنية والتركيب والدَّلالة"، وكان الحديث عن مجيء الصِّفَة اسم فاعل، والصِّفَة المُشبهة باسم الفاعل، وكان مِنْ أهم ما أدَّى إلى حذف الموصوف المصاحبة اللفظية فهي علاقة معنوية أجازت حذف الموصوف، فضلاً عن العلاقات النحوية والصرفية.

Abstract:

Understanding the Holy Qur'an and its interpretation requires the use of the language with its all levels, such as the morphological structure, composition, and semantics, then it is necessary to stand before the study of the structural variation in the adjective and the descriptive, it appeared through an interpretation Al-Bahr Al-Moheet by Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH), that the descriptive is omitted and the adjective takes its place, and the original is that the adjective comes for the sake of the described, given that the attribution is the basis of the benefit, the research came under the title of replacing the derived adjective the place of the described in the Interpretation of Al-Bahr Al-Moheet "a study in structure, composition and signification." The talk about the advent of the adjective was a noun, and the adjective suspicious of the subject's name, one of the most important things that led to the deletion of the descriptive verbal accompaniment was a moral relationship that permitted the deletion of the descriptive, as well as the grammatical and morphological relations.

توطئة

إنَّ فَهْمَ القرآن الكريم وفَهْمَ تفسيره يَحْتَاجُ إلى الاستعانة باللغة بجميع مستوياتها، كالبنية الصرفية، والتركيب، والدلالة، وَمِنْ هُنَا يَجِبُ الوقوف أمام دراسة المُركَّبات المتلازمة في اللغة العربية بوجه عام، والتغابر التركيبي في الصِّفة والموصوف بوجه خاص، فذلك يُعَيِّنُ على تحديد الدلالة المُقصودة تحديداً أُمَثِّلُ مِنْ خلال البنية اللُّغوية لتركيب الصِّفة والموصوف.

ولا شك أنَّ دراسة ظاهرة إقامة الصِّفة المشتقة مقام الموصوف دراسة في البنية والتركيب والدلالة، دراسة جديرة برصدها ووصفها وتحليلها وتأملها للبحث عن تفسير علمي مُنضبط، وَقَدْ لاحظتُ أحكام النُّحاة القدماء الذين وضعوها بأنَّ الأصل في الصِّفة أن تكون مُشتقة، وإنَّ جاءت غير ذلك أولوها بالمشتق، فكان ذلك دليل جدارتها بدراستها في المبني والوظيفة.

وكان التركيز في البحث على جانب البنية في التركيب لما لها مِنْ أثرٍ في التركيب، ولما للتركيب مِنْ حاجة للصرف؛ لأنَّ موقعية الكلمة لا تكفي في التحليل اللُّغوي، فلا بُدَّ مِنْ ترابط البنية والنحو معاً لخدمة المعنى الدلالي.

أهداف البحث:

1- التعرف على التغيرات التي تَدْخُلُ التراكيب المتلازمة في القرآن الكريم، والتلازم أنَّ كلَّ عُنصرٍ في ذاك التركيب يَسْتَلْزِمُ الآخر، والكشف عن الأبعاد الدَّلَالِيَّةَ لذلك التغير والحذف فيه.

2- التعرف على ظاهرة إقامة الصِّفة المشتقة مقام الموصوف في القرآن الكريم.

عناصر البحث:

- 1- مهاد: فيه تعريف الإشتقاق
- 2- المبحث الأول: اسم الفاعل
- 3- المبحث الثاني: الصفة المشبهة باسم الفاعل
- 4- خاتمة بأهم النتائج
- 5- قائمة بالمصادر والمراجع

منهج البحث:

أما المنهجُ المُستخدَمُ في هذا البحث، فهو المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي،

وذلك من خلال تتبع ظاهرة إقامة الصفة المشتقة مقام الموصوف، بطرح شواهدا القرآنية في تفسير البحر المحيط، وعرض ومناقشة آراء النحاة القدامى في ظاهرة الإقامة، مع طرح بعض الآراء الجديدة في تحليل الظاهرة.

الكلمات المفتاحية:

إقامة الصفة المشتقة مقام الموصوف- المعنى الوظيفي في التركيب - اسم الفاعل- الصفة المشبهة باسم الفاعل.

مباد:

من الضروري عند دراسة الصفة المفردة أن نوضح نوع الصفة من حيث مجيئها مشتقة أو مصدرًا أو جامدة أو غير ذلك، وتتوقف أمام مجيئها مشتقة، لذا لا بد من تعريف المراد بالمشتق في الصفة هنا، فيعرف أبو حيان الصفة المفردة المشتقة إذ يقول: إن "المفرد مشتق لفاعل ومفعول، وهو ما تضمن معنى الفعل وحروفه الأصلية، واختارز بقوله لفاعل ومفعول من المشتق لمكان، أو آلة، أو زمان، ويعم المشتق لفاعل أسماء الفاعلين والأمثلة المبالغة، والصفة المشبهة وأفعال التفضيل، ويعم المفعول أسماء المفعولين، وأفعال المفضل به المفعول"¹.

فقد جاء الوصف بالمشتق في أبواب وهي في اسم الفاعل، وصيغة المبالغة، والصفة المشبهة باسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل، وخرجوا من المشتقات ما هو معروف في الاشتقاق الصرفي من إسمي الزمان والمكان، واسم الآلة، فإنه لا يُنعت بها، فلا يرد نقضاً²، وهذا التخرج الذي خرج النحاة يعود إلى التفريق بين مصطلح الاشتقاق عند النحويين، وعند الصرفيين، فيتشابه المصطلح ولكن مقصوده يختلف استعماله عند كلا منهما، فالمشتق عند النحويين في الوصف شمل الأسماء الخمسة المذكورة السابقة، في حين أنه عند الصرفيين شملهم إلى جانبهم إسمي الزمان والمكان واسم الآلة، وإخراج النحويين بعض المشتقات يعود ذلك إلى الارتباط بالمعنى والإعمال في التركيب.

وبذلك اشتراط النحاة لصورة الكلمة المفردة التي تأتي صفة أن تكون مشتقة، و"بنية الكلمة المشتقة تتمثل في صيغتها الصرفية، ونشير إلى أنه إذا كان للكلمة المشتقة معنى مفرد يمكن الإطلاع عليه في المعجم، فإن هذا المعنى المعجمي يقوم على ركنيتين من المعاني الصرفية العامة: إحداها معنى الأصول الثلاثة من حيث إنها تلخص علاقات اشتقاقية بين طائفة من الكلمات...والركن الثاني ما ينسب إلى الصيغة الصرفية من معنى عام كالطلب والمطاوعة...وكلتا الركنيتين معنى عام"³.

المبحث الأول: اسم الفاعل

من تلك الصور التي تتجلى فيها صور إقامة الصفة مقام الموصوف، مجيء الصفة مفردة مشتقة، حيث إن الموصوف وصفته يمثلنا تركيباً مهماً في باب التوابع بصفة خاصة، وفي البناء النحوي، بصفة عامة، ولذلك يبينهما علاقة ترابطية حيث لا تأتي الصفة إلا لأجل موصوفها، ومع ذلك تكمن أهميتهما في أنه يمكن أن تحل الصفة محل موصوفها، وإن حذف موصوفها إنما يكون لأغراض وأسباب مقصودة يحتاجها السياق ويستلزمها المعنى لفائدة مرجوة، وهو ما سيحاول البحث الكشف عنه واستنباطه في الشواهد القرآنية.

فإذا كان النحو يهتم بصوغ القواعد، وتحديد ضوابطها، ومغيّر الصواب والخطأ، الذي على أساسه تُقاس صحة العبارة من حيث ذكره عنصري التركيب من المُسند والمُسند إليه، أو من الموصوف والصفة، لكن لا يكون التوقف عند المطلب النحوي فقط، بل كان الانتقال من القاعدة الثابتة في تحديد التركيب إلى مطلب آخر، وهو تحديد المعالم السياقية التي تظهر من خلال الصيغة الصرفية المستخدمة، إضافة إلى المطلب الدلالي، وكل هذه الجوانب تتلائم معاً لخدمة المعنى، أي تتلائم العلاقة الوظيفية بين الصرف والنحو لخدمة المعنى، حيث يقف النحو العادي إلى جانب النحو العالي لخدمة المعنى والسياق، والإخبار بما هو جديد من معنى.

ويمكن أن يتوقف أمام الحذف باعتباره ظاهرة مستقلة بصفة عامة، واعتباره هنا وسيلة إجرائية مهمة في ظاهرة إقامة الصفة مقام الموصوف، وبيان أثره في التزام الرتبة من حيث مجيء الموصوف ثم الصفة، أو مخالفة ذلك الالتزام، ويتضح ذلك من خلال تأمل قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، (الأنعام 6/ 32) في هذه الآية الكريمة يقول أبو حيان: "قرأ ابن عامر وحده (ولدار الآخرة) على الإضافة، وقالوا هو كقولهم: مسجد الجامعة، فقيل: هو من إضافة الموصوف إلى صفته، وقال الفراء: هي إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: بارحة الأولى، ويوم الخميس، وحقّ اليقين، وإنما يجوز عند اختلاف اللفظين انتهى، وقيل: من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي: ودار الحياة الآخرة، ويدل عليه (وما الحياة الدنيا)، وهذا قول البصريين، وحسن ذلك أن هذه الصفة قد استعملت استعمال الأسماء وليت العوامل... وقرأ باقي السبعة (ولدار الآخرة) بتعريف الدار ب (أل) ورفع الآخرة نعتاً لها".⁴

قبل التعرض إلى الجانب التركيبي وإدراك تفصيله لا بُدَّ مِنَ التوقف أمام بُنى الكلمات داخل التركيب، باعتبار البنية الصرفية قرينة لفظية لها دور في إبراز المعنى وتوضيحه، حيثُ يَجِبُ أولاً معرفة الجزئيات داخل التركيب قَبْلَ معرفة الكليات داخل التركيب ككُلِّ، وهذا ما يَجِبُ أَنْ يكون أي: دراسة البنية -الصَّرف- قَبْلَ دراسة التركيب -النحو- وكلاهما يَتَحَدَانِ معاً لأجل المعنى الدَّلاليِّ، حيثُ بيان الجانب الصرفي وعلاقته بالجانب النحوي، وإثبات العلاقة بَيْنَ النحو والصرف، ومن هنا فقد جاءت قراءة ابن عامر ولدار الآخرة، فالآخرة: صفة مِنَ الفِعْلِ (أخر)، والآخرة هنا اسم فاعل على وزن (فاعلة) وُصِفَ بها، واسم الفاعل يكون فيه مَعْنَى الأصل أي معنى الحدث، مع مُشاركة معنى جديد طارئ، وهو الدَّلالة على مَنْ فَعَلَ الفِعْلَ أي قام به، أو مَنْ اتَّصَفَ به، فهنا الآخرة فيها معنى الفِعْلِ الأصلي أي الحدث وهو (أخر)، إضافة إلى مَنْ قَامَ بالفِعْلِ حيثُ اتصافه بالآخرة.

أمَّا عن الجانب التركيبي الذي عرضه أبو حيان فَمِنَ اللافت للنظر في كلامه السَّالِفِ الذِّكْرُ أَنَّ قراءة معظم القُراء السَّبعة (وللدارُ الآخرةُ خيرٌ)⁵، أصلها (الدارُ الآخرةُ خيرٌ)، أدخلت لام الابتداء، فكانت وللدارُ: اللام للابتداء، والدارُ: مبتدأ مرفوع، وهو الموصُوف، والآخرة: صفة، وخيرٌ: خبر، والآخرة صفة ذكرت بعد موصوفها (لدار)، فهذا الأصل حيثُ التزام الرتبة في ذِكر الصِّفة بَعْدَ مَوْصُوفها، وذلك لأنَّ "الصِّفة والموصُوف لما كان كالشيء الواحد مِنْ حيثُ كان البيان والإيضاح، إنَّما يحصل مِنْ مجموعهما كان القياس ألا يحذف واحد منهما؛ لأنَّ حذف أحدهما نقيض للغرض وتراجع عمَّا اعتزموه، فالموصُوف القياس يأبى حذفه"⁶، فالتزمت قراءة حفص وباقي السَّبعة ماعدا ابن عامر الأصل دُونَ حذف الموصُوف.

أمَّا قراءة ابن عامر (ولدارُ الآخرة) فهي على الإضافة كما يوضحها أبو حيان، فهي مثَّل قولهم مسجد الجامع، فأضيفت النكرة إلى المعرفة، فهو مِنْ إضافة الموصُوف إلى صِفته، أي: مِنْ إضافة الشيء إلى نفسه نَحْو: يوم الخميس، وَحَقَّ اليقين أضيف الشيء إلى صِفته، فالأصل أَنْ يُقال اليوم الخميس، فاليوم يُوصَفُ بأنَّه الخميس، والحقَّ اليقين، فالحقَّ يُوصَفُ بأنَّه اليقين، فقد أضيفت الدَّارُ إلى صِفته وهي الآخرة، والدَّارُ تُوصَفُ بأنَّها الآخرة، فعَلَى عادة العرب قد تُضَاف الدَّارُ إلى الآخرة مِنْ باب إضافة الشيء لصفته، فالعرب تُصَيِّف الشيء إلى صِفته، وإنَّ كان الأصلُ ألا يُضَاف الشيء إلى نفسه، فهو مُمتنع عِنْدَ نِهَاة البصرة، وإنَّما يَجُوز بشرط اختلاف اللفظَتَيْنِ عِنْدَ نِهَاة

الكُوفة؛ ولأنَّ الإضافة تأتي للتعريف أو التخصيص بالمضاف إليه، والشئ لا يُعرَف نفسه، وذلك ما عرضه النحاة تحت باب الإضافة، بقولهم إنَّ "المضافُ يتخصَّصُ بالمضاف إليه، أو يتعرَّف به، فلا بدُّ من كونه غَيْرُهُ، إذ لا يتخصَّصُ الشئ أو يتعرَّف بنفسه، ولا يُضاف اسم لما به اتَّحد في المعنى: المترادفين وكالموصوف وصفته...وما ورد مُوهِّمًا لذلك مُؤوَّلٌ"⁷ لذلك "من غريب الإضافة إضافة الاسم إلى الصِّفة وبالعكس، مثل: دار الآخرة، تقدِّرها: دار الحياة الآخرة، فقام الوصفُ مقام الموصوف، وأصلها الدَّار الآخرة، ثُمَّ حذفوا أداة التعريف في الكلمة الأولى، ثُمَّ ضلوا في التركيب، فظنوه إضافة، وهو في الحقيقة وصف"⁸.

وقيل إنَّ القراءة من حذف الموصوف وإقامة الصِّفة مقامه، فالتُّحاة لا يجوز في قواعدهم إضافة الشئ إلى نفسه، بل جعلوا ذلك على التأويل في حذف المضاف إليه، وهذا جاء مناسب مع قراءة ابن عامر ولدَّار الآخرة، تقدِّره: ولدَّار الحياة الآخرة، على حذف الموصوف وإقامة الصِّفة مقامه، فتكون ولدَّار الحياة الآخرة، فأضيفت ولدَّار إلى الحياة أي: إضافة النكرة إلى المعرفة، وبدلُ على ذلك الأصل المُقدَّر قوله الحياة الآخرة إضافة معرفة إلى معرفة، ومثل ذلك حبة الحمقاء، حيثُ أضيفت نكرة إلى المعرفة، والأصل في تأويل هذا التقدير حبة البقلة الحمقاء، فيقال: "وأما ما ظاهره إضافة الموصوف إلى صفته، فمؤوَّلٌ على حذف المضاف إليه الموصوف بتلك الصِّفة، كقولهم: حَبَّةُ الحمقاء، وصَلَاةُ الأولى، والأصل: حَبَّةُ البَقْلَةِ الحمقاء، وصَلَاةُ السَّاعَةِ الأولى؛ فالحمقاء: صِفة للبقلة لا للحبَّة، والأولى صِفة للسَّاعة، لا للصلاة، ثُمَّ حذف المضاف إليه -البقلة والسَّاعة- وهو الموصوف وأقيمت صفته مقامه، فصار حبة الحمقاء، وصَلَاةُ الأولى "فلم يُضَف الموصوف إلى صفته بل إلى صفة غيره"⁹.

فلنحظ أنَّ التركيب في الآية الكريمة يَجُوزُ فيه المحذوف المُقدَّر، وعلى تخريج التُّحاة لَيْسَ من باب إضافة الشئ إلى نفسه، بل هو على تقدير موصوف محذوف، فيكون لفظ الموصوف غير لفظ الصِّفة، أي: لفظ الآخرة غير لفظ الحياة، فهنا تحققت قاعدة الكُوفة وشرطهم في اختلاف اللفظين بدلًا من إضافة الشئ إلى نفسه، وتلحظ الباحثة أنَّ الذين استحسنوا رأي الإضافة ودليلهم قول الفراء، هو في ظاهره انتقاد لرأي الفراء¹⁰ الذي يرى أنَّ الدَّار الآخرة هي من إضافة الشئ إلى نفسه، أي: أنَّ الدَّار اسمٌ، والآخرة صِفة من صفات الدَّار فأضيفت الدَّار إلى الآخرة، أي: أضيفت إلى نفسها فالدَّار هي الآخرة، وذلك يجوز لأنَّ اللفظتين مُختلفَتين، ولكن اختلاف الدَّار

والآخرة اختلاف ألفاظ لا اختلاف معاني، فحتمًا على اللفظ هو اختلاف ألفاظ، وحتمًا على المعنى هو اتفاق معاني، فالدار هي الآخرة، والعرب تمنعت إضافة الشيء إلى نفسه بلفظه ولكن لم تمنع إضافة الشيء إلى نفسه باختلاف الألفاظ، حيث الآخرة هي الدار في المعنى، وهذا توهم أن اختلاف الألفاظ هو اختلاف في المعاني، يقول الفراء: "جعلت الدار هاهنا اسمًا، وجعلت الآخرة من صفتها، وأضيفت في غير هذا الموضع، ومثله مما يُضاف إلى مثله في المعنى، قوله (إن هذا لهو حق اليقين) والحق هو اليقين؛ كما أن الدار هي الآخرة... يُضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كما اختلف الحق واليقين، والدار والآخرة... فإذا اتفقا لم تقل العرب: هذا حق الحق، ولا يقين اليقين، لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان في المعنى".¹¹

وبدوأن السياق استدعى ذلك الحذف واستحسنه، فيأتي الحذف على مستوى الحركة، والحرف، والكلمة، والجُملة، يقول ابن جني: "قد حذفت العرب الجُملة، والمُفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"¹²، فحذف الموصوف في الآية يمثل صورة الصفة المفردة، فيكثر حذف موصوف الصفة المفردة وتنوب صفته منابه، وتستعمل الصفة كأنها اسم، فهي اسم فاعل على وزن فاعلة، واسم الفاعل من المشتقات، فكثرة حذف الموصوف استغناء عنه بالصفة. نظرًا للعلاقة اللفظية أي المصاحبة للغوية بين الدار الآخرة، فالعلاقة المعنوية المحيطة لإقامة الصفة مقام الموصوف هي المصاحبة اللفظية، فجعل الصفة كأنها اسم، أي الآخرة كأنها اسم، والصفة يصح أن يوصف بها، وذلك بناء على الاستعمال الصرفي والعقلي للناطقين باللغة؛ لأن الصفات من المشتقات، وكثرة حذف الموصوف جعل الصفة تُستعمل كأنها اسم، ومن ثم ترى الباحثة أن من مظاهر الإقامة استعمال الصفات كأنها أسماء، بالإضافة إلى أن الحذف تميل إليه اللغة العربية حيث إنها لغة إيجاز على مستوى المعنى، واختصار على مستوى اللفظ، وبيان وهو الوضوح والبلاغة.

وبذلك تحدثت الآية عن الحياة الدنيا، وأن الدنيا أمرها فاني، حيث إن أعمالها كالعب واللهو، والاشتغال بها لا يغني ولا ينفع، وفي المقابل الحياة الآخرة هي الباقية، فأعمال الآخرة فيها المنفعة العظيمة¹³، وهي خير من دار الحياة الدنيا الفانية، وفي تقدير الموصوف المحذوف ولدار الحياة الآخرة فيه توضيح وبيان بأن هناك حياة ثانية، وإنما هي دار حياة الآخرة وتلكم هي الحياة الحقيقة الباقية، وهي خير للذين

يتقون.

المبحث الثاني: الصفة المشبهة

كما تأتي الصِّفَة اسم فاعل فتأتي أيضًا صفة المشبهة باسم الفاعل، وتقوم مقام موصوفها، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ¹⁴ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء 4/ 17). إذ يقول أبو حيان: "من قريب فيها وجهان أحدهما: إنها للتبعيض، أي: بعض زمانٍ قريب، والثاني أن تكون لابتداء الغاية... ودخول "من" الابتدائية على الزمان لا يجيزه البصريون، وحذف الموصوف هنا وهو زمانٌ، وقامت الصِّفَة التي هي (قريب) مقامه، ليس بقياس؛ لأنَّ هذه الصِّفَة وهي القريب ليست من الصِّفَات التي لا يجوز حذفها بقياس؛ لأنها ليست مما استعملت استعمال الأسماء، فلم يُلفَظْ بموصوفها كالأبْطَح والأَبْرَق، ولا مُخْتَصَّةً بجنس الموصوف نحو: مررتُ بمهندسٍ، ولا تَقَدَّمَ ذِكْرُ موصوفها، نحو: اسقني ماءً ولو باردًا، وما لم يكن كذلك مما كان الوصف فيه اسمًا، وحذف فيه الموصوف وأُقيمت صِفته مقامه، فليس بقياس"¹⁴.

قبل الحديث عن الجانب النحوي والدَّلَالِي لا بُدَّ مِنَ الوقوف أمام الجانب الصرفي، باعتبار الصيغة الصرفية ومعناها مهمًا داخل التركيب، بل الصيغ الصرفية هي مكونات التركيب النحوي، وتلك الصيغة قرينة لفظية مهمة إلى جانب قرائن أخرى داخل التركيب، فالصيغة الصرفية في التركيب التي ينبغي توضيحها هي كلمة (قريب)، وهي مِنَ الفعل (قَرَّبَ) مِنْ باب كَرَّمَ، فجاءت على وزن (فَعِيل)، والقرب هو الدنو، ودنا فهو قريب، وصيغة قريب يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع¹⁵، وصيغة (فَعِيل) مِنَ الصيغ المشتركة بين الأبواب، وإن كان النحاة اشترطوا مجيئها من فعل لازم، فقد تحقق ذلك الشرط في هذا الموضع، ولكن إلى جانب ذلك والمهم هنا هو الجانب الدَّلَالِي، إذ الصيغة هنا صفة مستديمة وثابتة، أخبر بها الله عز وجل عن الذين يعملون السوء، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ زَمَنِ قَرِيبٍ، فتدلُّ صيغة قريب على دوام قربهم مِنَ التَّوْبَةِ، فلا يتحول زَمَنُ التَّوْبَةِ من عملوا السوء بجهالة إلى زمن بعيد مثلاً، إِنَّمَا هُوَ زَمَانٌ قَرِيبٌ في توبتهم، وذلك المعنى الصرفي في الدلالة على الدوام والثبات في قرب توبتهم لا يتغير ولا يفارق الصيغة، فبتوا فر تلك الشُّرُوط يكون الحكم على الصيغة بأنها صفة مُشَبَّهَةٌ باسم الفاعل، وَمِنْ ثَمَّ يكون للبنية الصرفية أثرٌ في التركيب النحوي، وأما الموصوف المُقَدَّرُ بكلمة (زمان) فبنيتها الصرفية ظرف على وزن (فَعَال).

وكما للدور الصرفي أهمية في التركيب، فللجانب النحوي أهمية أيضًا حيث جاء التركيب: ثُمَّ يتوبون من قريب، وهذا التركيب حدث فيه معيار الحذف، فأصل التركيب ثُمَّ يتوبون من زمان قريب، فتكون ثُمَّ: حرف عطف، يتوبون: جملة معطوفة على يعملون، من: حرف جر ومجروره زمان، وهو الموصوف المحذوف، وقريب صفة في محل جر للموصوف المحذوف، ويوضح أبو حيان حكم مجيء كلمة (قريب) صفة لموصوف محذوف وهو زمان، وحذف الموصوف هنا وهو الزمان، وقامت الصفة مقامه ليس بقياس، وذلك لأن الصفة وهي قريب ليست من الصفات التي يجوز حذفها بقياس، ويعلل أبو حيان ذلك بأنها ليست من الصفات التي تستعمل استعمال الأسماء، مثل: الأبطح والأبرق "ويدل على أنها صفات عدم صرفها إذا عريت من أل والإضافة¹⁶، ولا جاءت مختصةً بجنس الموصوف نحو: مررتُ بمهندس أي: برجل مهندس، ولا تقدّم ذكر ما يدل على موصوفها، نحو: اسقني ماءً ولو باردًا، أي اسقني ماءً ولو ماءً باردًا، فحذف الموصوف لدلالة ما قبله عليه، ولكن يجوز هنا حذف الموصوف "إن كان الوصف لمكان أو زمان جاز حذف الموصوف"¹⁷، والوصف هنا جاء لزمان فيجوز حذفه لأن الزمان يفهم من السياق.

ومن هنا يتوقف مع "من" لأنها تتعلق بالتركيب، وقد أكد أبو حيان فيها وجهين: الأول: إنها للتبعيض أي: بعض زمان قريب، وكأنه جعل المدة ما بين وجود المعصية وقبل حضور الموت زمانًا قريبًا، ففي أي جزء تاب من أجزاء الزمان فهو تائب من قريب¹⁸، ولعل الترجيح بأن "من" تبعيضية، وأن من يتوبون يكون قبل حضور الموت، والذي يوضح ذلك المعنى السياق، وذلك بالنظر في الآية التي اللاحقة لها فقد قال: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ¹⁹ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (النساء 4 / 18)، فقد أوجب التوبة عليه تكررًا وجعلها حق عليه، لمن يتوب ويرجع لمن عمل السوء بجهالة، أي: بغير عمدٍ منه، فلا يجهل كونها معصية، ولكنه جهل بمقام الله عز وجل فتاب ورجع، ففي الآية الأولى وضع وقت قبل التوبة وهو التوبة من قريب أي: قبل الموت، وفي الآية الثانية وضع اثنين لا تقبل توبتهم، وهم من يعملون السيئات، فعند حضور ملك الموت يعلن توبته، وأقرب مثال إلى ذلك فرعون عندما أدركه الغرق فعلم بموته، فقال: إِنِّي تَبْتُ، فردَّ الله عز وجل فقال: الْآنَ، والآخرين وهم من يموتون وهم كفار، والثاني: إن تكون لابتداء الغاية، أي: تبتدئ التوبة من زمان قريب من زمان المعصية، لئلا يقع في

الإصرار، وهذا إنما يتأتى على قول الكوفيين، وأما البصريون فلا يجيزون أن تأتي من لابتداء الغاية في الزمان، وما جاء على ذلك يأولونه، ويكون مفهوم ابتداء الغاية، إنه لو تاب من زمان بعيد لا يدخل في من خص بكرامة قبول التوبة على الله المذكورة في الآية، بل يكون داخلا في من قال فيهم (فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم)¹⁹

من خلال هذا المثال يتضح أن اللغة تتحد بجميع مستوياتها، حيث المستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، ويحدث بينهم علاقات تلاؤمية لخدمة السياق، ولأثر ذلك على المتلقي/ القارئ، فالمعاني الوظيفية (الجانب الصوتي والصرفي والمعجمي) ترتبط فيما بينها بطريقة العلاقات النحوية السياقية (القرائن المعنوية)، حيث تتصافر عدة قرائن لفظية، وهي قرينة الصيغة الصرفية، وقرينة الإعراب والمطابقة في الحركة الإعرابية والرتبة، وقرائن أخرى معنوية وهي قرينة التبعية بين الصفة وموصوفها، فكل هذه القرائن يطلق على كليهما اصطلاح (القرائن المقالية)، حيث يؤخذان من المقال لا المقام، فكان التركيز على المعاني الوظيفية الجزئية للوصول للمعنى السياقي للتركيب القرآني.

خاتمة بأهم النتائج:

- 1- إن اختلاف النحاة في تعريف المشتق يرجع إلى التفريق بين مصطلح الاشتقاق عند النحويين، وعند الصرفيين، فيتشابه المصطلح ولكن مقصوده يختلف استعماله عند كلا منهما، فالمشتق عند النحويين في الوصف شمل الأسماء الخمسة، في حين أنه عند الصرفيين شملهم إلى جانبهم اسمي الزمان والمكان واسم الآلة، وإخراج النحويين بعض المشتقات يعود ذلك إلى الارتباط بالمعنى والإعمال في التركيب.
- 2- إن فهم البنية الصرفية مهم جدا لفهم مثل التراكيب المتلازمة، لأن فهم البنية يفهم منها المعنى الجزئي، ولا بد من فهم الجزء لفهم الكل لأن لا يتوصل إلى معرفة التركيب إلا بفهم الجزئيات، وهذه التراكيب تترابط بعضها ببعض، فعلاقة الكلام بعضها ببعض هو البيان، ولذلك قيل الإسناد هو مناط الفائدة.
- 3- إن غرض إقامة الصفة مقام الموصوف هنا للاختصار والإيجاز، وذلك اعتمادا على سياق المقام وعلم المخاطب بالموصوف، ولتحقيق قصد المتكلم.
- 4- يكثر حذف الموصوف وتقوم صفته مقامه وذلك للمصاحبة اللفظية، فهي علاقة معنوية مجيزة لإقامة الصفة مقام الموصوف، بالإضافة إلى أن الحذف وسيلة إجرائية مهمة لإقامة الصفة مقام الموصوف، وتميل إليه اللغة الع

- 5- رَبِيَّةٌ حَيْثُ إِنَّهَا لَغَةٌ إِيْجَازٌ عَلَى مَسْتَوَى الْمَعْنَى، وَاخْتِصَارٌ عَلَى مَسْتَوَى اللَّفْظِ،
وبيان وهو الوضوح والبلاغة.
- 6- إِنَّ صِيغَةَ (فَعِيل) مِنَ الصِّيْغِ الْمَشْتَرَكَةِ فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدَّةٍ، وَأَكْثَرُ النَّحَاةِ عَلَى أَنَّ الصِّيْغَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْفِعْلِ الْإِزْمَ كَانَ الْأَوَّلَى أَنَّ تَكُونُ صِفَةً مُشَبَّهَةً، وَمَا كَانَ مِنَ الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي كَانَ الْأَوَّلَى أَنَّ يَنْسَبُ إِلَى صِيْغَةِ الْمُبَالَغَةِ، وَلَكِنْ تُؤَكِّدُ الْبَاحِثَةُ عَلَى أَنَّ اتِّخَاذَ الْمَعْنَى فَيَصِلُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَى الصِّيْغَةِ.

الهوامش:

- 1- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. رجب عثمان محمد، ومراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418م، 1998م. 4/ 1917.
- 2- الأزهري، الشيخ خالد زين الدين بن عبد الله، التصريح بمضمون التوضيح، دراسة وتحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، 1413هـ، 1992م. 3/ 472.
- 3- د. حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، 2002م. 1/ 31.
- 4- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 1436هـ، 2015م. 539/ 11 - 540.
- 5- جاءت القراءة في الرسم المصحفي (وَلَدَّار) الكلمة أصلها (وَالْدَّار) الواو حاليّة، والدَّار هنا بالتعريف حَيْثُ سَقَطَتْ أَلِفُ الْوَصْلِ مِنَ الْوَسْطِ، وَاللَّامُ الْأَوَّلَى لِلْإِبْتِدَاءِ، وَاللَّامُ لَا تَنْطِقُ لِأَنَّهَا لَامٌ شَمْسِيَّةٌ، وَلِذَلِكَ جَاءَتْ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ بِإِسْقَاطِ الْأَلْفِ اللَّامِ، وَبَقَاءِ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ وَمَجِيءِ كَلِمَةِ (دَار) بِدُونِ تَعْرِيفِ أَيْ نَكْرَةٍ، فَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِوُجُودِ اللَّامِ وَتَسْقُطِ فِي النِّطْقِ لِأَنَّهَا لَامٌ شَمْسِيَّةٌ، وَقِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ فِي مَجِيءِ الْكَلِمَةِ بِدُونِ (ال) حَيْثُ إِسْقَاطُ الْأَلْفِ اللَّامِ وَبَقَاءُ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ.
- 6- ابن يعيش، العلامة موفق الدين يعيش بن علي النحوي، شرح المُفَصَّل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر. 3/ 59.
- 7- ابن عقيل، بهاء الدين بن عبد الله، المصري، الهمداني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط 20، 1400هـ - 1980م. 3/ 49.
- 8- براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة

- الخانجي، القاهرة، ط4، 1423هـ، 2003م. ص 152.
- 9- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 3/ 49.
- 10- إذا كان البصريون يأولون مثل هذه التراكيب؛ لأنَّ الإضافة يُراد بها التعريف والشيء لا يعرف نفسه، إلا أنَّ ظاهرة إضافة الشيء إلى نفسه تمثل رأي الكوفيين، ويؤيد ذلك ما تمَّ الاستشهاد به من أقوال الفرَّاء، باعتبار الفرَّاء هو نحويّ كوفي بل هو من كبار نحاة الكوفة.
- 11- الفرَّاء، أبو زكريّا بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ، 1983م. 1/ 330، 331.
- 12- ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمّد علي النجار، ط4، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1999م. 2/ 362.
- 13- الرّمخشري، الإمام أبو القاسم جارا لله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، رتبته وظيفته محمّد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط6، 2015م. 2/ 16 (بتصرف).
- 14- أبو حيان، البحر، 9/ 175، 176.
- 15- الفيروز ابادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق الإستاذ محمّد علي النجار، ط3، القاهرة، 1416هـ، 1996م. 4/ 252.
- 16- أبو حيان، ارتشاف الضرب 4/ 1939.
- 17- المصدر السابق.
- 18- الرّمخشري، الكشاف، 1/ 479، الحلبي، البغداديّ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني، إدارة الطباعة الأميريّة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان. 4/ 239.
- 19- السّمين، أحمد بن يوسف، الدّر المصون في علّوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمّد الخزّاط، دار القلم، دمشق.. 3/ 624، وينظر: أبو حيان، البحر، 9/ 176، (بتصرف).